المحاضرة3: مراكز العلم في الغرب الإسلامي

أولا: **بالمغرب الأدنى– القيروان–:**

1/ النشأة والمكانة الحضارية:

تأسست القيروان كأولى الحواضر الإسلامية في إفريقية عام 670م؛ وأصبحت عاصمة ولاية إفريقية في عهد الأمويين ثم العباسيين، وفيما بعد تحت حكم الأغالبة ما منحها مكانة سياسية وإدارية هامة وبفضل هذا الوضع تحولت إلى مركز إشعاع ديني وعلمي في الغرب الإسلامي.

2/ مؤسسات التعليم والعلم بالقيروان:

–الجامع الكبير في القيروان: لم يكن مجرد مكان للعبادة فقط بل كان مركزا تعليميا لتدريس العلوم الشرعية والعلوم اللغوية والمذاهب الفقهية، وخاصة المذهب المالكي؛ إضافة إليه ظهرت أيضا: **المدرسة القيروانية:** وقد أسهمت في إثراء الحركة العلمية والفكرية في المغرب الإسلامي خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين(10–11م)من خلال تدريس مختلف العلوم: كعلم الفقه المالكي؛ العلوم اللغوية، العلوم الطبية وغيرها.

3/ الإسهامات العلمية والتواصل العلمي:

–كانت القيروان قبلة لطلبة العلم من المغرب والأندلس وصقلية، الذين توافدوا عليها للتعلم والتبادل العلمي.

–نقلت المعارف والكتب من القيروان إلى سائر مناطق الغرب الإسلامي وساهمت بذلك في الربط الفكري والثقافي بين الحواضر الإسلامية في شمال إفريقيا والأندلس.

–أصبحت القيروان مرجعية للمدرسة الماكية في الغرب الإسلامي فقد استقر هناك كبار الفقهاء وألفوا مصنفات ما جعلها منطلقا لتوسيعالمالكية غربا؛ وإن هذه الوضعية العلمية جعلت القيروان كمنارة علمية دينية وليس فقط مدينة سياسية.

–كما كانت القيروان تضم مدارس طبية وبرع عدد من العلماء في هذا المجال كما اهتم أمراء الأغالبة بتدعيم مجال الطب والصيدلة

ثانيا/ بالمغرب الأوسط:أ/ بحايـــــــة:

1–النشأة والخصائص الحضارية:

بجاية مدينة تقع على ساحل البحر المتوسط شمال شرق الجزائر، كانت خلال العصر الوسيط أحد أهم مراكز التعليم والعلم في الغرب الإسلامي؛ أصبحت بجاية تحت حكم الحماديين عاصمة لهم بعد انتقالهم من قلعة بني حماد إليها سنة 1090م، وشهدت ازدهارا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وبخاصة في القرنين5–6هـ/11–12م؛

إضافة إلى أنها كانت محطة تجارية هامة تربط شمال إفريقيا بأوربا مما ساعد في تبادل المعارف والعلوم.

2–مكانتها كمركز علمي وثقافي:

استقبلت طلاب العلم والعلماء الذين توافدوا عليها خلال العصر الوسيط من مختلف أنحاء العالم الإسلامي إذ يأتون إليها من القيروان وتلمسان والأندلس ومن مصر والشام واليمن وبلاد الحجاز لطلب العلم ولقاء المشايخ وتحصيل الإجازات؛ وقد وصف العلماء ببجاية ب''أمراءالعلم''ما يدل على ماكان يتمتع به هؤلاء من مكانة وقدر من الاحترام والتبجيل؛ كما تعددت العلوم والمعارف التي كانت تدرس ببجاية منها: الفقهه الإسلامي– علوم اللغة العربية– علم الحديث، التاريخ– الطب– علم الفلك– العلوم الطبيعية وغيرها.

3- أثر بجاية العلمي في العالم الإسلامي وأوربا:

لقد برز في بجاية كوكبة من العلماء في العصر الوسيط لعبوا دورا بارزا في نشر الثقافة والعلوم من أمثال: أبو علي الحسن بن علي بن حماد: من علماء الفقه واللغة(أبو العباس أحمد بن علي الزواوي) من علماء الفلك والرياضيات؛وعليه كانت بجاية جسرا ثقافيا بين العالم الإسلامي وأوربا انتقلت من خلالها العلوم العربية والإسلامية إلى الغرب عن طريق التجارة ورحلات العلماء؛ هذا فضلا عن تبادل المراسلات العلمية بين علماء بجاية وغيرهم في مختلف بقاع العالم الإسلامي والغربي؛وقد درس فيها العديد من علماء أوربا لاحقا مثل: ليوناردو فيبوناتشي الذي تعلم أسس الحساب والنظام العددي في بجاية

ب/ تلمســــــــان:

1-/ تلمسان الموقع والأهمية:

تقع تلمسان في مركز استراتيجي يربط المغرب الأوسط بالمغرب الأقصى والأندلس، وهذا الموقع جعلها ملتقى للطرق التجارية والعلمية فكانت مقصد العلماء والفقهاء والطلاب من شتى أنحاء الغرب الإسلامي ومنذ القرن6هـ/ 12م بدأت تلمسان تبرز كمركز علمي لكن عصرها الذهبي كان في العهد الزياني(بنو عبد الواد) خاصة خلال القرنين13-15م؛ وقد لقبت بمدينة العلم والعلماء.

2-/ المؤسسات التعليمية بتلمسان:

لقد أنشأت عدة أنواع من المؤسسات االتعليمية في تلمسان وخاصة على العهد الزياني نذكر منها:

-المساجد:كمسجد أولاد الإمام: أنشأه السلطان'' أبو حمو موسى الأول سنة 710هـ وهو يحمل اسم ابني الإمام وهما العالمان الجليلان أبو زيد عبد الرحمان وأخوه أبو موسى عيسى وقد درس به العديد من العلماء.

-قصور الخلفاء ومنازل العلماء: من ذلك الملك يغمراسن مؤسس الدولة -الذي شجع الحركة الفكرية والتعليمية بتلمسان ورغب رجال العلم في الوفود إلى عاصمة دولته وأسهم بدعم العلم والعلماء بالأموال والهدايا وشجعهم على التدريس والتأليف كما عمل على مجالسة الصلحاء والإكثار من زيارتهم وعقد المجالس العلمية في قصره؛ وقد سار ملوك بني زيان على دربه واشتهر منهم السلطان''أبوزيان محمد بن أبي حمو'' الذي ساهم مساهمة كبيرة في الحركة العلمية والأدبية بدولته وتحدث التنسي في كتابه:''نظم الدر والعقيان'' عنه قائلا:'' فأقام سوق المعارف على ساقها وأبدع في نظم مجالسها واتساقها فلاحت للعلم في أيامه شموس وارتاحت للاستغراق فيه نفوس''وشارك بنفسه في الحركة العلمية بالتأليف فألف كتاب: :''الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة''.

-المدارس التعليمية على العهد الزياني: وكانت عبارة عن بنايات مخصصة لدراسة علوم معينة كونها في الغالب عملا وقفيا أو تابعا للدولة؛ وقد عرف نظام المدارس في المغرب الإسلامي في حوالي القرن6هـ/12م؛ وفي المغرب الأوسط تأخر ظهورها إلى غاية القرن8هـ/ 14م وكان الهدف من ورائها هو نشر التعليم والثقافة منجهة ومن أجل وحدة السياسة المذهبية من جهة ثانية وهي نصرة المذهب المالكي ومن أشهر المدارس بتلمسان الزيانية نجد: مدرسة ابني الإمام العلمان أبوزيد عبد الرحمانأبو موسى عيسى بأمر من السلطان أبو حمو موسى الأول/ المدرسة التاشفينية بناها السلطان أبو تاشفين عبد الرحمان الزياني/ المدرسة اليعقوبية من إنشاء السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني/ مدرسة سيدي أبي مدين بالعباد بناها السلطان أبو الحسن المريني.

3/ العلوم التي ازدهرت بتلمسان:

- العلوم الدينية والشرعية (القرآن الكريم وعلومه – التفسير-الفقه- الحديث).

-العلوم اللغوية (النحو والصرف- الشعر- النثر)/ -**العلوم العقلية والطبيعية** كالطب، الرياضيات، الفلك، الفلسفة

-علم التاريخ -السير والمغازي – علم الأنساب.

4/ أشهر علماء تلمسان في العهد الزياني:

–ابن مرزوق الخطيب،ت781هـ: مؤرخ وفقيه وخطيب وكانت له علاقة وثيقة ببلاط المرينيين والزيانيين

– الونشريسي أحمد بن يحي،ت914هـ: من كبار فقهاء المالكية، مؤلف كتاب: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب.

–السنوسي محمد بن يوسف، 895هـ: كان عالما في العقيدة الأشعرية، وله مؤلفات عدة من أهمها: كتاب أم البراهين/ العقيدة الصغرى.

ثالثا: بالمغرب الأقصى–فـــــاس–:

1/ النشأة والمكانة:

–كانت مدينة فاس من أعظم المراكز العلمية والفكرية في العالم الإسلامي خلال العصور الوسطى، بل اعتبرت لدى بعض المؤرخين بأنها كانت العاصمة العلمية للغرب الإسلامي في العصر الوسيط وعلى امتداد قرون من الزمن إلى جانب قرطبة وبغداد والقاهرة؛ وقد أسسها الإدريسيون في القرن2هـ/8م واتخذها إدريس الثاني عاصمة لدولته؛ وبفضل موقعها بين المغرب الأوسط والأندلس فقد أصبحت ملتقى للعلماء والتجار والرحالة؛ واحتضنت منذ نشأتها العديد من المهاجرين القيروانيين والأندلسيين الذين نقلوا إليها ثقافتهم وعلومهم مما جعلها مركزا حضاريا متفردا.

2/ **المؤسسات العلمية والتعليمية:**

–جامع القرويين: أهم مؤسسة علمية في الغرب الإسلامي بني سنة 245هـ/859م وكان نظامه التعليمي يشمل الحلقات العلمية(المجالس) التي تُدرس فيها مختلف العلوم.

–المدارس المرينية: والتي شيّدت في العهد المريني مابين القرنين13–15م من أمثلتها: مدرسة الصفارين(الحلفاويين) أمر ببنائها الأمير يوسف يعقوب بن عبد الحق عام675هـ/1276م/ ومدرسة فاس الجديدة وبنيت سنة720هـ/1320م بأمر من الأمير المريني''علي بن أبي سعيد عثمان''وعين فيها الفقهاء لتدريس العلم فقصدها الطلبة والدارسون وأجريت عليهم المرتبات في كل شهر.

3/ **العلوم في فـــــــــاس:**

تنوعت الاهتمامات العلمية بفاس بين العلوم الشرعية والدينية والعلوم اللغوية والأدبية والعلوم العقلية والطبيعية وفيما يلي تفصيل عن ذلك:

–العلوم الشرعية والدينية: اشتهرت فاس بمدرستها في الفقه المالكي وأصبحت مرجعا لأهل المغرب والأندلس، وازدهر بها علم الحديث، التفسير، أصول الفقه.

– العلوم اللغوية والأدبية: كانت فاس حاضنة للأدب وازدهر فيها الشعر والبلاغة والنحو ومن أبرز الأعلام الذين نبغوا في ذلك: أبو عمران الفاسي؛ ابن العربي المعافري .

–العلوم العقلية والطبيعية:كانت فاس مركزا لدراسة الرياضيات والفلك والطب والفلسفة؛وساهمت في نقل الفكر العلمي الأندلسي والمشرقي إلى بلاد المغرب وأوربا.

4/ أشهر علماء فاس ممن تولوا الخطط واهتموا بالتأليف:

–ابن خلدون صاحب كتاب المقدمة/– ابن رشد الجد قاضي فاس وفيلسوف وفقيه/ ابن البناء المراكشي عالم رياضيات وله مؤلفات /لسان الدين بن الخطيب الوزير صاحب كتاب الإحاطة.

5/فاس كجسر حضاري(التواصل والتبادل الفكري):

كانت فاس صلة وصل بين المشرق والمغرب والأندلس؛ انتقلت عبرها العلوم الإسلامية والعربية إلى أوربا بواسطة الطلبة الأندلسيين وحركة الرحلة العلمية والهجرات والحركة التجارية؛ وقد ظلت فاس ولا تزال منذ العصر الوسيط منارة علمية واحتفظت بطابعها ودورها الديني والتعليمي والثقافي ببلاد المغرب.

رابعا: بالأندلس– قرطـــــــــبة:

1/ الموقع والمكانة:

تقع قرطبة في جنوب الأندلس(إسبانيا الحالية) على نهر الوادي الكبير؛ أسسها المسلمون كعاصمة للأندلس في عهد عبد الرحمان الداخل الأموي؛ وفي عهد عبد الرحمان الناصر(912-961م) والحكم المستنصر بالله(961-976م) بلغت أوج ازدهارها وأضحت من أعظم مدن العالم علما وحضارة، كما تحولت مع مرور الزمن إلى مركز إشعاع علمي وثقافي ربط العالم الإسلامي بأوربا المسيحية. وكانت اللغة العربية هي لغة العلم والإدارة والفكر وتدرس بها جميع العلوم والمعارف.

2/ **المؤسسات العلمية والثقافية بقرطبة:**

– **الجامع الكبير بقرطبة:** كان مركزا علميا تعقد فيه حلقات الدروس في التفسير والفقه واللغة والمنطق.

– **بيت الحكمة والمكتبات:** في عهد الحكم المستنصر بالله ضمت مكتبة قرطبة أكثر من 400 ألف مجلدا في مختلف العلوم.

3/ **المدارس والحركة العلمية:**

كان هناك اهتمام كبير بالمدارس وتشييدها إذ عدت قبلة للطلبة والعلماء، ومن أشهرها: المدرسة النصرية أو اليوسفية بغرناطة التي شيدها السلطان''أبو الحجاج يوسف الأول'' سنة750هـ/1349م، ومن العلوم التي ازدهرت بقرطبة:

–العلوم الدينية والشرعية: تميزت بمدرسة فقهية قائمة على المذهب المالكي؛ وازدهرت علوم الحديث والتفسير والقراءات واللغة العربية؛ ومن أشهر علماء هذا المجال نجد:يحي بن يحي الليثي نشر الموطأ في الأندلس– القاضي منذر بن سعيد البلوطي– ابن عبد البر صاحب كتاب التمهيد والاستذكار.

–العلوم العقلية والطبيعية:كانت قرطبة من أبرز مراكز الطب والفلك والرياضيات والفلسفة والكيمياء؛ وأنشأت فيها المراصد الفلكية ودور الترجمة التي نقلت المعارف اليونانية والفارسية والهندية إلى العربية؛ ومن أشهر علمائها في هذا المجال نذكر:

–مسلمة المجريطي: عالم رياضيات وفلك وساهم في تطوير الجداول الفلكية/–الزهراوي: مؤسس علم الجراحة ومؤلف كتاب: التصريف لمن عجز عن التأليف/–ابن رشد الحفيد: فيلسوف وطبيب وقاض قرطبي، شرح مؤلفات أرسطو وكان جسرا بين الفكر العلمي الإسلامي والفكر الأوروبي.

–الآداب واللغات: كانت قرطبة مركزا الأدب العربي الأندلسي حيث ازدهر بها الشعر والبلاغة والموسيقى؛ نشأت فيها مدارس شعرية رائدة وبرز فيها عدد من الأعلام مثل ابن عبد ربه صاحب: العقد الفريد؛ وازدهرت فيها الموسيقى الأندلسية بفضل زرياب الذي أسس مدرسة فنية أثرت في الموسيقى الأوربية.

4/ قرطبة كجسر حضاري:

لقد أسهمت قرطبة كحاضرة علمية بالأندلس خاصة وبالغرب الإسلامي عامة في العصر الوسيط، حيث شكلت جسر وصل حضاري بين العالم الإسلامي وأوربا المسيحية من خلال مايلي:

- نشاط حركة الترجمة من العربية إلى اللغات الأخرى كالاتينية.
- وفد على قرطبة طلبة العلم من صقلية وبلاد الغال لتعلم خاصة الطب والفلك والرياضيات .

- انتقلت المعارف العربية والإسلامية إلى أوربا وكان لذلك أثر في نهضة أوربا فكريا وعلميا.